المحاضرة الخامسة
التعليمية والفلسفة

لا شك أن تأخير تدريس مادة الفلسفة إلى آخر مرحلة في التعليم الثانوي، يثير أكثر من سؤال بالنسبة للتلميذ، كما يعمق لديه الرغبة في استكشاف عالمها الغريب، علماً أن هذه المادة غير مبرمجة في السنوات الأولى من الدراسة بالتعليم الثانوي، أو ما قبلها في معظم دول العالم لاعتبارات تخص المادة في حد ذاتها، ولطبيعة محتوياتها النظرية والتجريدية، إذ لا يرقى عقل الطفل إليها، حسب المهتمين بهذا الحقل المعرفي، غير أن تأخيرها كما سبق الذكر يولد قلقاً لدى المتعلم، قلق يهم المادة ومدرسها في أن معاً.

فيما يتعلق بالمادة؛ فإن عقل المتمدرس/ التلميذ يزخر بالعديد من التمثلات المتسربة إليه إما من وسطه الاجتماعي أو من زملاء له، سبق وأن دفعهم فضول ملحاح إلى استفسارات عن طبيعة هذه المادة التي يُقبلون على دراستها، وفي الغالب يكون التلميذ قد حصل على إجابات مشحونة بمواقف معادية تماماً للمادة، وقد وجد لها أصحابها مبررات، ككون المادة صعبة الفهم، وغالباً ما تؤدي بأصحابها للحيد عن جادة الصواب، والانطباع نفسه يصدق على المدرس لها، فهو يحدثنا بلغة لا نفهمها في الغالب، معقد المزاج، يعاني من أزمات نفسية...، فكل هذا يُعد مبرراً كافياً بالنسبة للتلميذ للعزوف عن دراسة مادة الفلسفة، ومنه يخلق فيه حاجزاً نفسياً من جراء تلك الأحكام المسبقة، يجعل مهمة المدرس في اختراق عقل التلميذ وإقناعه أمراً مستعصياً، ومنه بدل التركيز على الدرس تجد الأستاذ يعمل جاهداً لتغيير هذه الأحكام، باختراق ذلك العائق النفسي، ومحاولته ترك انطباعً حسناً لدى التلميذ يليق بالمادة، وتهييئته نفسياً لاكتساب محتوياتها.

من هذا المنطلق نجد أن مادة الفلسفة تعاني ويعاني المشتغلين بها الويلات في الواقع الاجتماعي، لهذا نحن بحاجة لمضاعفة الجهود مقارنة بالمواد الأخرى، على الرغم من ذلك فإن للفلسفة دور لا يستهان به في تنشئة وتكوين شخصية التلميذ، حيث تساعده على الانفتاح على مختلف القضايا المطروحة والتي تعنيه بشكل أو بأخر، كما تساعده على التكيف أو إيجاد الحلول لتلك المشكلات التي تصادفه في حياته اليومية، بتمكينه من اخدام العقل وآلياته المختلفة، لهذا نجد عديد الدول تولي اهتمامًا بالغاً لهذه المادة ومنها بلدنا الجزائر، فمنذ سنة 2006م تم إنشاء شعبة في التعليم الثانوي بعنوان" آداب وفلسفة"، وهذا يُعد انتصاراً للفلسفة.

الفلسفة كمادة لها موضوعها، منهاجها، آليات تدريسها، أدواتها، وهذا ما تشرع له التعليمية الخاصة بها، وهي تعمل على تحديد الكيفية التي تمارس بها، وظيفتها، آفاقها المستقبلية، وكذا الآفاق التي يمكن الانفتاح عليها من تدريس هذه المادة.

1- تعليمية الفلسفة

أ- **مفهومها:** جاء في معجم علوم التربية أن "تعليمية الفلسفة هي دراسة وضعيات، وسيرورات تعليم وتعلم الفلسفة، قصد تطويرها وتحسينها والتفكير في المشكلات الديداكتيكية التي يثيرها تعليم هذه المادة وتعلمها". وانطلاقاً من هذا التعريف يمكن طرح التساؤلين التاليين؛

- كيف تدرس ديداكتيك الفلسفة الوضعيات التعليمية والتعلمية؟
- كيف يتم التفكير في المشكلات التي يثيرها هذا التعليم والتعلم؟

قبل الإجابة عن هذين السؤالين، نحاول النظر في أهداف الدرس الفلسفي وكذا تاريخية ديداكتيك الفلسفة.

ب- أهداف الدرس الفلسفي

يمكننا اختصار أهداف الدرس الفلسفي فيما يلي؛

- يعمل الدرس الفلسفي على إدماج التلميذ مع محتويات المادة، حيث تضيء له بعض زوايا العالم التي تعد أفقاً مظلمة بالنسبة إليه، بما يعني أن الفلسفة تهتم بذات المتعلم، لا باعتباره طاقة استيعابية فقط، بل تنير دربه، وتنمي شخصيته من خلال جعله قادراً على اتخاذ مواقف ناضجة تجاه قضايا، واتجاه أفراد أيضاً، تمكنه من الثقة بالنفس، والتعبير عن أرائه بصدق، وتعلمه الانفتاح على الغير أو الآخر كما سبقت الإشارة.
- دور الفلسفة لدى التلميذ خاصة وأنه يبدأ بتعلمها في سن المراهقة، لا شك أنها ستلعب دوراً فعالاً وإيجابياً في ترقية نفسيته، ليتمكن من إثبات عكس الصورة التي ألصقها به غيره في كونه كائناً متمرداً وغير منضبط.

أهداف الدرس الفلسفي تجعله يتعالى على هذه الصورة القدحية ليتحرر من الآخر، ومن انتقاداته ليتهيأ وجدانياً وفكرياً لإعطاء صورة بديلة عن ذلك، فيصبح أكثر تصالحاً مع الذات ومع الأخر، فتشكل هذه اللحظة قناة أساسية للانخراط في الدرس الفلسفي.

ج- تاريخية ديداتيك الفلسفة

لقد أبدت ظهورها الأول سنة 1993م كما يذكر ذلك **فليب سارمجان**، وهو ما يؤكده الفرنسي **ميشال توزي** عند قوله" إن تأسيس ديداكتيك الفلسفة بالمعنى الحديث للكلمة، يعني (ديداكتيك تعلم الفلسفة) هو شيء حديث جداً إذ لم يظهر في فرنسا سوى في السبعينيات، عكس على ما هو عليه الأمر بالنسبة للمواد الأخرى.."، غير أن المساهمة لإعداد تعلم التفلسف، كان منذ سنة 1988م، كما يصرح توزي نفسه في مواضع أخرى، بل إن أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه كانت حول" نحو ديداكتيك لتعلم التفلسف" سنة 1992م، لقد وضع هذا الفرنسي فرضية ديداكتيك للتفلسف قائمة على التمييز بين التفلسف أمام التلميذ وتعليمه التفلسف، فداخل هذه الهوة بين التعليم والتعلم تتحدد ديداكتيك الفلسفة، وعلى امتدادها يجب التأمل في الوسائط الضرورية بين التفلسف الذاتي وتعليم الفلسفة للآخرين، تدريسها وتعلمها، سماع أو قراءة الفلسفة وبداية التفلسف.

مسألة تعليم التفلسف في الحقيقة ليست حديثة إذ يكفي العودة إلى أباء الفلسفة الأوائل منذ عهد اليونان بداية من سقراط ومنهجه "التهكم والتوليد" بحثاً عن الحقيقة، أسلوب يستخدمه في الجدال بالأخذ والرد بين السؤال والجواب، وهو في أن واحد أسلوب لتعليم التفلسف، بل هو نموذجاً لتعليم عصري منشود، باعتباره مثالا للتعليم الناجح، لقد كانت محاوراته ملهم النظريات التربوية الحديثة. أما تلميذه أفلاطون ينفي أن تكون الفلسفة تُعلم، بل تُفهم، وقد أوضح سبيل التدرب على التفلسف، من خلال كتابه "الجمهورية" موضحاً المراحل التي يمر بها أبناء أثينا الأحرار في التعليم، وصولاً إلى

سن 33 سنة فما فوق، أين يحق لأولئك الذين تدرجوا في التعلم وصولا إلى أخر محطة ألا وهي تعلم التفلسف بصفتهم النخبة (الحكماء).

أما كانط في الفلسفة الحديثة فقد دعا إلى استخدام ملكة التفكير لفهم الممارسة الفلسفية إذ" لا يمكننا أن نتعلم الفلسفة بل يمكننا أن نتعلم التفلسف" هكذا قال كانط. أما غاية التكوين الفلسفي عند هيغل، لا يتعلق الأمر بتكوين الطلبة مهنياً فقط بل يهدف إلى تكوينهم الفكري، وصولا إلى مفهوم التربية عند نيتشه باعتباره نقطة تحول الفكر الفلسفي المعاصر بفلسفته العدمية، فكان مشروعه يهدف إلى تحقيق الإنسان المنشود "الإنسان الأعلى" لا الإنسانية جمعاء، بأسلوب تعليمي متميز، يولي الاهتمام بالجانب النفسي والأخلاقي.

بالعودة إلى مقاربة ميشال توزي الحديثة، إذن ليست هي الوحيدة في موضوع تعلم التفلسف، بل هي مساهمة فعالة في وضع نظريات ديداكتيكية قصد إدماج الفلسفة في النظام التعليمي الفرنسي، مع دعوته لتعميم تعليم التفلسف على جميع الأطوار التعليمية بما في ذلك الأطفال الصغار.

وبالجزائر أطر توزي ملتقى حول (ديداكتيك الفلسفة) من خلال وثيقة عمل حول الموضوع، اعتمدت في برنامج الجامعة الصيفية لسنة 1998م، كما عقد ملتقى حول (الفلسفة والتعليمية) في شهر أفريل من سنة 2001م، من طرف قسم الفلسفة بجامعة وهران.

أما في الوطن العربي عموما ثمة اهتمام بتطوير هذه المادة، إذ نظمت الجامعة الأردنية المؤتمر الفلسفي العربي الأول، والذي نشرت بحوثه في كتاب بعنوان" الفلسفة في الوطن العربي المعاصر"، كما تم عقد اجتماع لخبراء المادة في مراكش بالمملكة المغربية في جويلية من عم 1987م حول تدريس الفلسفة في الوطن العربي، حيث نشرت أشغال الاجتماع بدار المغرب الإسلامي، ببيروت سنة 1990م، حيث هناك اهتمامات أكاديمية كثيرة بشأن تدريس الفلسفة في الوطن العربي خاصة في سوريا والمغرب.